نظرية النظم النحوي قبل عبد القاهر

د . أحمد نصيف الجنابي

المدخل إلى النظرية

عرفت « نظرية النظم النحوي » بعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، وبها اشتهر كتابه « دلائل الإعجاز » الذي بسط فيه هذه النظرية ، ولم تشتهر كتبه الأخرى لاسيما النحوية ، ككتاب « المقتصد في النحو » وكتاب «العوامل المائة » مثلما اشتهر « الدلائل » .

أما النحاة الذين جاؤوا بعده فلم يزيدوا على هذه النظرية شيئاً ذا بال بل إنهم لم يدركوا أبعاد تلك النظرية العملاقة التي تشمل اللغة كلها ولا سيما الجانب الاسلوبي الذي تفتقر إليه المؤلفات اللغوية قبل عبد القاهر الجرجاني ، إلا في حالات نادرة .

أما في العصر الحديث فقد التفت إليها مجموعة من اللغويين والنقاد ، منهم : الاستاذ أحمد أحمد بدوي في كتابه : « عبد القاهر الجرجاني » وإن كان الرجل ناقلاً وشارحاً أكثر منه باحثاً مكتشفاً . وتناولها الدكتور محمد مندور « في الميزان الجديد » فأبرز الجانب اللغوي في هذه النظرية ، وجعل عبد القاهر في صف أعظم اللغويين المحدثين ، وتحدث عنها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه « عبد القاهر الجرجاني » حديثاً مستفيضاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن أعمق من تناول نظرية النظم « وكشف عن كثير من جوانبها المتصلة بالنظرية العامة والمصطلحات والأساليب » هو الاستاذ الدكتور تمام حسان في كتابه القيم « اللغة العربية ، معناها ومبناها » .

وقد تناولها بالدرس والتحليل غير هؤلاء . ولكل جهده المشكور .

وأهم شيء نخلص إليه من هذه الكتب كلها أنها أجمعت على أن صاحب النظرية هو « عبد القاهر » وأنه غير مسبوق بها ولا بجزء منها .

ولي وجهة نظر تخالف هؤلاء جميعاً ، « ولكل وجهة هو موليها » . والناس يختلفون ماداموا يفكرون .

فقد وجدت أن عبد القاهر مسبوق بهذه النظرية في الجانب النحوي المتصل بالأساليب ، الخاص بموضوع « الفصل والوصل » ، أو مايسمى - عند القراء - بالوقف والابتداء (أو القطع والائتناف) . وقد عدل عبد القاهر عن مصطلح البلاغيين - وهو منهم - في أثناء بحثه موضوع « الفصل والوصل » - في الدلائل إلى مصطلح القراء . وهذه القرينة إحدى حججي في إثبات مايدل على أن صاحب «الدلائل »مسبوق بالجزء الذي أوضحته ، من نظرية النظم . (١) فمن هو ذلك السابق ؟ (٢) وماهي حدود التأثير ؟ (٣) وماهي الأدلة عليه ؟

هذا ما سأبينه في أقسام البحث الثلاثة الآتية :

القسم الأول : من هو صاحب نظرية النظم قبيل عبد القاهر ؟

صاحب هذه النظرية هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨ هـ) . ولد بمصر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من عائلة كانت تعمل بالنحاس . ولم تحدد مصادر حياته سنة ميلاده ، ويمكن أن نقترب من ذلك التأريخ بالطريقة الآتية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد كان أول أساتذته موتاً هو بكر بن سهل الدمياطي (ت ٢٨٩ هـ) . فإذا كان طلب العلم يبدأ في السادسة عشرة في ذلك العصر فيمكن طرح هذا الرقم الأخير من (٢٨٩) فيكون الباقي (٢٧٣) ، وهو السنة التي ولد فيها النحاس تقريباً لا تحديداً . وبناء على هذه يمكن تقدير سنوات العمر التي عاشها ٣٣٨ - ٢٧٣ = ٦٥ .

ومعنى هذا أنه عاش عمراً وسطاً يشبه أعمار الأنبياء ، ولم يمت شابا ولا هرما بالرغم من أنه ألقى في النيل بمؤامرة دبرها له الحكم الذي كان قائماً وقتئذ . وإني أرفض الرواية المعروفة في مصادر حياته الزاعمة أنه كان يقطّع أبياتاً من الشعر فرماه رجل في النيل لأنه اعتقد أنه يسحر النيل (١) ليقل ماؤه !

ومما يعضد ماذهبت إليه أن الحادثة تكررت مع عالم آخر رمي في النيل في آخر القرن الرابع الهجري . وهذا يدل على أن هذه الوسيلة كانت متبعة في ذلك العصر لاغتيال العلماء الذين يرفضون الخنوع والاستخذاء

ويمكن تقسيم حياة النحاس إلى المراحل الآتية :

المرحلة الأولى وتمتد من سنة ٢٧٣-٢٨٧ هـ وهي مرحلة الطفولة والصبوة.

المرحلة الثانية : وتمتد من سنة ٢٨٧ - ٣٠٠ هـ وتمثل مرحلة طلب العلم في مصر وفلسطين والعراق . وهي مرحلة الشباب في الحياة والفكر .

وفي مصر كانت بداية رحلته العلمية . وأول أساتذته فيها : « بكر بن سهل الدمياطي » ، وقد نقل عنه النحاس في كتابه : « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، كثيراً (٢) . وأساتذه هذا محدّث ، ومفسر ، ومقرىء (٣) .

(١) إنباه الرواة ١/١٠٢

(٢) الناسخ والمنسوخ/ ٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٥٩ الخ

(٣) طبقات القراء ١/١٧٨ وحسن المحاضرة ١/٣٦٧ وطبقات المفسرين ١/١١٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي مصر أخذ قراءة « ورش » (١) ، عن أبي بكر (٢) عبد الله بن مالك التُّجيبي (ت ٣٠٧ هـ) . وأخذ العلوم اللغوية والنحوية عن « محمد بن ولاد » (ت ٢٩٨ هـ) وقد ذكره في « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » (٣) .

والتقى بالأخفش الصغير : علي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) بعدما جاء إلى مصر سنة ٢٨٧ هـ ، وقد أخذ عنه وذكره في جل كتبه الموجودة . كما أخذ عن غير هؤلاء .

أما في فلسطين فقد التقى في مدينة « البلد » بالإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر المعروف بالداجوني الكبير (ت ٣٢٤ هـ) ، وهو صاحب كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر مقرئاً (٤) .

وأما في العراق فالتقى بأشهر أساتذته وأبعدهم تأثيراً في حياته العلمية وفي مناحي تفكيره : أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وابن كيسان النحوي (ت ٣٢٠ هـ) . وقد روى عنهما في كتبه اللغوية والنحوية ، ومدحهما مدحاً دل على قدرهما الكبير عنده ، فقال : « إنهما أجلّ من رأى من النحويين » (٥) .

وقد أخذ عن غير هؤلاء ولكننا أعرضنا عن ذكرهم اختصاراً واكتفاء بالأهم .

---

(١) هو عثمان بن سعيد المصري المتوفى ١٩٧ هـ . رأس المدرسة المصرية في القراءات ، وأشهر تلاميذ « نافع » أحد القراء السبعة .

(٢) طبقات القراء ١/٤٤٥

(٣) إعراب القرآن لوحة ٨ / أ وشرح القصائد التسع ٤٠٤

(٤) لطائف الإشارات ١/٨٦

(٥) في رسالته : « إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية » (مخطوط) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرحلة الثالثة : وتمتد من سنة ٣٠١ - ٣٣٨ هـ وهي مرحلة العطاء . وقد قضاها في التدريس والتأليف ، إذ صنف مايزيد على عشرين كتاباً في اللغة والنحو والتفسير والفقه والحديث .

وأهم مؤلفاته وأشهرها وأكثرها تأثيراً في الدراسات اللغوية والنحوية :

(١) إعراب القرآن (مخطوط) .

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات . طبع ببغداد سنة ١٩٧٣ بتحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر .

(٣) القطع والائتناف (مخطوط) . (٤) معاني القرآن (مخطوط) .

(٥) الناسخ والمنسوخ في القرآن . طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

أما أهم تلامذته فهم :

(١) فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن قاسم المعروف بالكزنى (ت ٣٣٥ هـ) من أهل الأندلس ، رحل إلى المشرق فسمع النحاس (١) .

(٢) ومن أظهرهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) ، وقد سمع منه وله معه حادثة مشهورة (٢) .

(٣) محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحي (ت ٣٥٨ هـ) من أهل الأندلس رحل إلى مصر فلقي النحاس ، وحمل عنه كتاب سيبويه رواية ، وحدث بكتبه : « الكافي في النحو » و « المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين » ، و « صناعة الكتاب » ، و « الاشتقاق » (٣) .

(١) بغية الملتمس : ٤٢٩

(٢) بغية الملتمس : ٤٥٠ وتاريخ علماء الأندلس ١٤٢/٢

(٣) تاريخ علماة الأندلس ٦٩/٢ وفهرسة ابن خير : ٣٨٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤) محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري القرطبي (ت ٣٧١ هـ) لقي أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه : إعراب القرآن ، ومعاني القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس [١] .

ويبدو أن جلّ تلامذة النحاس من أهل الأندلس .

(٥) وأشهر تلامذته المصريين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الأدفوي الذي لازم النحاس وروى عنه كتبه . وعن الأدفوي نقل بعضها إلى الأندلس . وكان الأدفوي نحوياً ومقرئاً [٢] ، توفي بمصر سنة ٣٨٨ هـ .

القسم الثاني : نظرية النظم عند النحاس

وقد بسط النحاس نظريته في كتاب « القطع والائتناف في القرآن » أي : الوقت والابتداء .

وقسمه أربعة أقسام :

(١) وقف التمام . (٢) الوقف الكافي . (٣) الوقف الصالح . ويسمى « الوقف الحسن » أيضاً . (٤) الوقف الممتنع . ويسميه بعض العلماء : « الوقف القبيح [٣] » .

فالوقف التام :

هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لايتعلق بشيء مما بعده به ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن ، وأكثر مايكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي ، كقوله تعالى : « واولئك هم المفلحون » (البقرة :٥)

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٨١/٢

(٢) انباه الرواة ١٨٩/٣ والبغية ١٨٩/١ وطبقات القراء

(٣) الداني : المكتفى في الوقف والابتدا ، ورقة ٩ : ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والابتداء بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (البقرة : ٦) وكذلك : « ولو ألقى معاذيره » (القيامة : ١٥) ، والابتداء بقوله : « لا تحرك به لسانك » (القيامة : ١٦) . وكذلك : « وجعلوا أعزة أهلها أذلة » هذا هو التام ، لأنه انقضاء كلام « بلقيس » ثم قال عز وجل : « وكذلك يفعلون » (النمل : ٣٤) .

أما الوقف الكافي :

فهو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ . وذلك نحو الوقف على قوله : « حُرِّمت عليكم أمهاتكم » (النساء : ٢٣) ، والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها . وكذلك الوقف على قوله : « اليوم أُحِلَّ لكم الطيبات » (المائدة : ٥) ، والابتداء بما بعد ذلك لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض وكذلك الوقف على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق.

أما الوقف الحسن :

فهو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً . وذلك نحو قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » (الفاتحة : ١ - ٢) ، الوقف على ذلك كله وشبهه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله « رب العالمين » ، و « الرحمن الرحيم » ، و « مالك يوم الدين » لا يحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله ، ويسمى هذا الضرب صالحاً إذ لا يلزم القارىء أن يقف في كل موضع على تام ولا كافٍ لأن نفسه ينقطع دون ذلك .

أما الوقف القبيح :

فهو الذي لا يعرف المراد منه ، وذلك نحو الوقف على « بسم » و

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« مالك » والابتداء بقوله . « الله » و « يوم الدين » ، من سورة الفاتحة ، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف .

وأقبح من هذا النوع الوقف على قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا » (آل عمران : ١٨١) ، والابتداء بما بعد ذلك من قوله : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

ومن انقطع نفسه على ذلك وجب عليه أن يرجع إلى ماقبله ويصل الكلام بعضه ببعض فإن لم يفعل أثم وكان ذلك من الخطأ العظيم [١] .

والذي لفت نظري أن منهج النحاس في كتاب « القطع والائتناف » وموقفه من المسائل النحوية والوجوه الاعرابية وطريقة تعامله معها كلها تختلف عما في كتبه الأخرى الباقية ، لأنه أعطى السياق القرآني ومعانيه صورة واحدة هي أفضل من سواها ، وهذا السياق هو العلاقة النحوية والرابطة اللغوية بين أجزاء الجملة القرآنية مرتبطة بالمعنى العام ارتباطاً وثيقاً حيث يلتزم القارىء بهذه العلاقة فيقف وقفاً تاماً في حالة واحدة ، في الموضع الذي يتم فيه المعنى وتتصل أجزاء الجملة ، فإذا تعدى القارىء هذا الموضع دون أن يقف أو وقف على ماقبله ، فقد ارتكب الخطأ وجاوز منطق الصواب .

لكنه لهج في كتابيه : « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » بالاحتمالات النحوية والوجوه الإعرابية وجعل لكل وجه علة في الصواب .

فكلمة « هدى » في قوله تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » (البقرة : ٢) ، فيها ثمانية أوجه من الإعراب : (تكون في موضع رفع خبراً عن ذلك ، وعلى إضمار مبتدأ ، وعلى أن تكون خبراً بعد خبر ، وعلى أن

---

(١) ملخص من كتاب « المكتفى في الوقف والابتدا » لأبي عمرو الداني ورقة ٧ ؛ ب ـ ٩ : ب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تكون رفعاً بالابتداء .. فهذه أربعة أوجه في الرفع .. وتكون على وجه خامس هو أن تكون رداً على موضع « لاريب فيه » أي : حق هدى . وتكون نصباً على الحال من ذلك . وتكون حالاً من الكتاب ، وتكون حالاً من الهاء)[١] .

أما الآراء والوجوه الإعرابية في كتاب « القطع والائتناف » فهي تخضع للمفاضلة وليست موضع احتمالات تتساوى فيها الوجوه الإعرابية بالصحة بل هناك حالة واحدة يصح معها المعنى التام ويقف عندها القارىء أو المتكلم وقفاً تاماً ، وهي الحالة التي تتصل فيها أجزاء الجملة اتصالاً كلياً بالمعنى وتنقطع عما بعدها انقطاعاً كلياً . أما الجواز فلا يكون في حالة تتساوى مع حالة الوقف التام بل تأتي بعدها وهي حالة الوقف الكافي أو الصالح ، وقد لاتكون هذه ولا تلك بل حالة أخرى يمتنع معها الوقف امتناعاً كلياً .

الغاية من النظرية

وإذا كان لكل نظرية أو قضية غاية يتوخاها العالم فإن غاية هذا الفن وهذا العلم : « علم الوقف والابتداء » هي « التفريق بين المعاني » والعصمة من الخطأ ، والبعد عن الخلط بين المعاني المختلفة . فالقارىء إذا وقف على الآية: « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض [٢] » ، كان المعنى أنها حرمت عليهم هذه المدة . وإذا وقف على « فإنها محرمة عليهم » كان المعنى أنها محرمة عليهم أبداً ، وأنهم يتيهون أربعين سنة)[٣] . وعند نهاية الآية الكريمة : « وإن من

---

(١) إعراب القرآن لوحة ٣ : ب وينظر المرجع نفسه ، لوحة ٢ : ب ، ومواضع أخرى من الكتاب .

(٢) سورة المائدة آية ٢٦

(٣) القطع والائتناف لوحة ٨ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (سورة الحجر آية ٢١) ، وكذا الآيات التي بعدها إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » . ويروى عن « نافع » (١) أن الوقف التام عند الآية ٤٧ من السورة نفسها : « ونزعنا مافي صدورهم من غل » ووافقه على ذلك العباس بن الفضل (٢) (وخولفا في ذلك لأن « إخواناً منصوب على الحال مما قبله) ، أي : « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين » والتام « وماهم بمخرجين » ؛ أما قوله تعالى : « الغفور الرحيم » فليس بتام لأن بعده « وأن » معطوفة على ماقبلها (٣) .

ولذلك يصح في أول كتابه « القطع والائتناف » - بعد بسط مجموعة من المقدمات — قوله : « فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني » .

الوسائل

ولكن ماهي الوسائل التي تجعل القارىء أو المتكلم يصل إلى التفريق بين المعاني ليعصم نفسه من الوقوع في الخطأ ، أولاً ، وليصل إلى المفاضلة بين تلك المعاني ، ثانياً ؟ من أجل هذا كله حدد النحاس الوسائل التي يستعين بها قارىء القرآن أو المتكلم بغير القرآن حتى يحققا الغايتين معاً ويصلا إلى ذينك الهدفين .

فعند حديثه عن الأدوات التي يتسلح بها من يتصدى لموضوع « وقف التام » يؤكد أن مايجب أن يراعيه طالب هذا الفن هو أن يعرف قوانين النحو لأنه إذا لم يعرف ذلك وقع في الخطأ والوهم ولم يستطع أن يفرق بين المعاني

---

(١) هو نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩ هـ (طبقات القراء ٢/٣٣٠)

(٢) مقرىء معروف توفي سنة ١٩٥هـ وروى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء (طبقات القراء ١/٣٥٣) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ ؛ ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخلط بين العذاب والرحمة . فقارىء الآية الكريمة : « يُدخِل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً »(١) ، لاينبغي أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « في رحمته » لأن الظالمين منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل أي : ويعذب الظالمين أو وأوعد الظالمين عذاباً أليماً(٢) .

فمعرفة النحو حاجة ملحة لمن أراد معرفة القطع والائتناف(٣) « ليصل طالب هذا الفن إلى مجانبة الخطأ ويفرق بين المعاني فلا يخلط بينها ».

ومن أدوات طالب هذا الفن معرفة القراءات وتوجيهها وتعليلها .

غير أنه لايورد القراءات إلا إذا أوضحت « القطع والائتناف » فإذا لم تكن حاجة إلى ذلك فإنه لايوردها . وهذا واضح من تصريح النحاس حين بين سبب إيراد القراءات في سورة الجن فقال : (وإنما ذكرنا كل مابلغنا من القراءات في هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات)(٤) .

ومن هذه الأدوات « اللغة » ومادام القرآن نزل بلغة العرب ، فلا بد لمن أراد أن يفهمه مجرد فهم أن يعرف هذه اللغة معرفة جيدة ويعرف أساليبها فكيف بمن أراد أن يعرف أسرار هذه المعاني ومراميها البعيدة والمفاضلة بينها ؟

ولهذا فإن النحاس أكد هذه الناحية في أول كتابه(٥) ، فقال — وهو يتحدث عن « القطع والائتناف » — : (وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لابد لهم من قراءة القرآن ليقرأوه على اللغة التي أنزله الله جل وعز بها

(١) سورة الإنسان آية : ٣١ (٢) القطع والائتناف لوحة ٨ : ب
(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب (٤) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب
(٥) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفضلها ومدحها فقال جل ثناؤه : « بلسان عربي مبين »(١) .

ولكن مامفهوم البيان عند النحاس ؟

مفهوم البيان – عنده – « تفصيل الحروف (٢) والوقف على ماقد تم والابتداء بما يحسن الابتداء به ، وتبيين مايتجنب من ذلك » .

وما هي الوسيلة التي نبين بها وقف التمام ، ومالم يتم ؟ وماهو المعيار الذي نرجع إليه في مثل هذه الحالات ؟

أما الوسيلة التي نبين بها ماتم ولم يتم فهي اللغة وقوانين النحو بمعناها الواسع الشامل الذي يقصد به معرفة الأساليب الصحيحة والمناهج القويمة التي يجب أن يراعيها قارىء القرآن والناطق بلغته ، وقد بينها في أول كتابه « القطع والائتناف » وضرب لها الأمثلة . وأورد ماروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجلان فتشهد أحدهما فقال : « من يُطِعِ الله جل وعز ورسوله فقد رشد ومن يَعْصِهما » . فقال رسول الله ﷺ : « بئس الخطيب أنت . كان ينبغي أن تصل كلامك : « ومن يعصهما فقد غوى » أو تقف على « رسوله فقد رشد »(٣).

ثم عقب النحاس على ذلك بقوله : (فإذا كان هذا مكروهاً في الخطب وفي كلام الناس الذي يكلم به بعض الناس بعضاً ، كان في كتاب الله جل وعز أشد كراهة) .

وذكر عن رسول الله الحديث المعروف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف . اقرؤوا ولا حرج ولكن لاتختموا ذكر رحمة بذكر عذاب ولا تختموا عذاباً برحمة » .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٥

(٢) الحرف في مفهوم القراء : ماوقع فيه الاختلاف من كلم القرآن سواء كان حرفا في اصطلاح النحويين أم أسما أم فعلا . (ابن الفاصح : سراج القارىء المبتدي : ١٤) .

(٣) القطع والائتناف لوحة ٦ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستنتج منه قوله : (إنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار والعقاب)[١] .

هذا إذا كانت الآية تتعلق بذكر الجنةوالنار أو بذكر الثواب والعقاب .

ولكن الآيات ليست كلها على هذه الصورة .. فما هي المعايير والأسس التي نركن إليها ، ويمكن الرجوع إليها والاحتكام عندها دائماً ، أي :

(١) ماهي المعايير التي تضبط مواطن وقف التام ؟

(٢) وماهي المعايير التي نحكم بها مايمتنع من الوقف ؟

الجواب : إنها قوانين النحو . وهذا مانجده في كتاب « القطع والائتناف » بحيث تكون تلك القوانين المرجع النهائي لبيان تلك الحالات وما يتفرع منها وتصبح هذه القوانين أداة المفاضلة بين المعاني ، وأساس تمييز الخطأ إن كان هناك خطأ في رأي ، وأساس الصواب إن كان الرأي صواباً .

ولكن بأي مفهوم استعمل النحاس النحو في هذا الكتاب ؟

إن المفهوم النحوي الذي ساد في هذا الكتاب هو « قانون السياق الجملي » المرتبط بالمعنى العام حيث يكون « أداة معيارية اللغة » وأساس المفاضلة بين أسلوب يصح الوقف عنده أو يجب وأسلوب لايصحالوقف عنده لأن الوقف عنده يعارض قانوناً من تلك القوانين المتصلة بمعيارية اللغة . وهذه القوانين هي التي استندتاليها« نظرية النظم النحوي عند النحاس » .

المعيارية النحوية :

قدم النحاس المعايير النحوية في أول كتابه « القطع والائتناف » حتى وصل إلى صورة الأنعام . فقال : (قد ذكر ماتقدم من السور على تقصٍّ وشرحٍ

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٦ ; ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من القطع التام والحسن والكافي والصالح ، فقس على ذلك ، فإني لو أتيت بذلك إلى آخر الكتاب ، على تقصٍّ ، طال . فرأيت ألا أذكر الواضح المفهوم المعنى وأذكر المشكل وما لا يفهم إلا بفكر ونظر . .) [١] .

وفيما يأتي أمثلة تتضمن المعيارية النحوية :

(١) قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » [٢] .

وعند هاتين الآيتين الكريمتين أورد النحاس ما يأتي : (قال يعقوب [٣] : ومن التمام الكافي : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » . قال ابو جعفر [٤] : وهذا غلط بيّن ، ليس بتمام ولا بكاف لأن « تكتموا » لا يخلوا من إحدى جهتين ، إما أن يكون معطوفاً ولا يتم الوقف على ماقبله ، وإما أن يكون جواباً فيكون القطع على ماقبله أبعد . والجواب كما قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلو وقف على « لاتنه عن خلق » لفسد المعنى ، وكذا قول العرب « لاتأكل السمك وتشربَ اللبن » ، لو وقف على « لاتأكل السمك » لفسد المعنى . على أن « يعقوب » لما ذكر ، « لاتلبسوا الحق بالباطل تام كاف ، قال : ثم يجعل الكتمان جواباً ، فجاء بأبعد الوجهين فالوقف الكافي : « وأنتم تعلمون » وليس بتمام ، لأن مابعده معطوف عليه . وكذا « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والتمام : « واركعوا مع الراكعين ») [٥] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٧٩ : ب (٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٤٢ ، ٤٣

(٣) هو يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة توفي سنة ٢٠٥ هـ

(٤) أبو جعفر هو النحاس .

(٥) القطع والائتناف لوحة ٢١ : ب - ٢٢ ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ب) قوله تعالى : « قال إنه يقول : إنها بَقَرةٌ لافارضٌ ولا بِكْرٌ عَوَانٌ بين ذلك . فافعلوا ماتؤمرون »[١] .

(قال نافع : لافارض ولا بكر ، تام . وكذا قال الفراء .

قال أبو جعفر: وفي الحديث : أن سعيد بن جبير[٢] كان يقف (عند)[٣] « ولا بكر » وكذا عن مجاهد[٤] وعيسى بن عمر[٥] ويعقوب وخالفهم الأخفش فقال : التمام عوانٌ بين ذلك . قال : أراد لاصغيرة ولا كبيرة ، ولكنها عوان بين ذلك ، وأنشد :

جلوسٌ لدى الأبواب طلاب نائل عوانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا

قال أبو جعفر: مع مخالفة الأخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد ، ومن النحويين من يقول : أخطأ وجاء بما لايجوز ألبتة ، وذلك أنه جعل « عواناً » من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر ، فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أي : بين الفارض والبكر فقد قدم المضمر على المظهر)[٦].

(ج) قوله تعالى : « إن الله لايستحي أن يضرب مثلاً مابعوضةً فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا

---

(١) سورة البقرة آية ٦٨

(٢) سعيد بن جبير هو الإمام المقرىء المفسر قرأ على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ (طبقات القراء ١/٣٠٦)

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) مجاهد بن جبر : مقرىء ومفسر قرأ على ابن عباس وقرأ عليه عبد الله بن كثير وعبد الرحمن بن محيص وأبو عمرو بن العلاء ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ (طبقات القراء ٢/٤٢)

(٥) عيسى بن عمر الثقفي : النحوي المشهور وهو مقرىء أيضاً قرأ على الحسن البصري ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ (طبقات القراء ١/٦١٣ وتراجم النحاة)

(٦) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يُضِلّ به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يُضِلّ به إلا الفاسقين »[١] .

(قال أحمد بن موسى : مثلاً : تمام . وقال أحمد بن جعفر[٢] لو وقف واقف على « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما » ، جاز وكان حسناً . وقال الأخفش[٣] : إن شئت وقفت على : « مثلاً ما بعوضة » قال أبو حاتم[٤] : والتمام « فما فوقها » . قال أبو جعفر : هذا أصح الأقوال . وأمّا أن تقف على « مثلاً » فخطأ ، لأن « ما » إن كانت زائدة للتوكيد فالابتداء بها ، وإن كانت بمعنى الذي ورفعت « بعوضة » فهي بدل من « مثل » وكذا إن كانت نكرة. ومثَل ومِثْل واحد . والمعنى ـ والله أعلم ـ إن الله لا يخشى أن بين شبها . ومَثَل ومِثْل ، مِثْلُ ، شَبَه وشِبْه ، كما قال[٥] :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيده إلا الأباطيل

والقطع على « ما » حسن . ولكن الائتناف بما بعده قبيح لأنه منصوب مردود على ما قبله وبمعنى : ما بين البعوضة . والوقف على « مابعوضة » ليس بتام لأنه متعلق بما بعده)[٦] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦

(٢) أحمد بن جعفر هو أبو علي الدينوري ختن ثعلب ، نحوي معدود في المصريين توفي سنة ٢٨٩ هـ (الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ٢٣٤) ومعجم الأدباء ٢٣٩/٢ وإنباه الرواة ٣٣/١ والبغية ٣٩٧/١)

(٣) أي : الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفي ٢١٥ هـ .

(٤) هو أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف وهو مقرىء أيضاً له اختيار في القراءة وتصنيف (طبقات القراء ٣٢٠/١ وتراجم النحاة)

(٥) البيت لكعب بن زهير من قصيدته : « البردة » .

(٦) القطع والائتناف لوحة ١٨ : أ ـ ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(قال أبو حاتم « فأما الذين آمنوا » ، ليس بقطع كاف لأنه لم يأت الخبر . « فيعلمون أنه الحق من ربهم » قطع حسن لأن « أما » لاتحتاج إلى تكرير ، وإنما يأتي بعدها ماهو معطوف عليها . « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ... قال أبو حاتم : هذا الوقف [١] . وأما الفراء فليس هذا عنده تاماً ، والتمام ـ عنده ـ ويهدي به كثيراً ») .

قال أبو جعفر : (الأوْلى في هذه الآية ماقاله أبو حاتم، والدليل على ذلك قوله جل وعز : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » . ثم قال الله جل وعز : « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ») [٢] .

فقد قاس آية البقرة على آية المدثر لأن السياقين متشابهان كل التشابه وما دام القطع التام في آية المدثر عند قوله تعالى « مثلاً » من قوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً » ، وعلة الوقف أنها نهاية حكاية قولهم وبعده : « كذلك يضل الله .. الآية ، وهو منقطع مما قبله انقطاعاً تاماً لأنه ليس من حكايتهم بل هو كلام مستأنف ، فهذا يبين أن الوقف عند قوله تعالى : « مثلاً » تام .

حالات يمتنع الوقف عندها ولا يحسن

أما في هذه الحالات فتظهر قوانين علم النحو بأجلى مظاهرها كما تظهر المعيارية النحوية لتطبيقات « نظرية النظم النحوي » عند النحاس . وأهم الحالات التي دارت في كتاب « القطع والائتناف » ومثلت هذه النظرية هي :

---

(١) أي : الوقف التام بدليل مابعده

(٢) سورة المدثر أية : ٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) حالة المبتدأ والخبر :

سورة الفاتحة آية : ٢ : « الحمد لله رب العالمين »

قال النحاس : (لا يقف على الحمد لأنه مبتدأ لم يأت خبره) (١) .

(٢) حالة النعت والمنعوت :

سورة الحجر الآيتان : ٩٥ ـ ٩٦ : « إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

قال النحاس : (زعم العباس بن الفضل أن الوقف الكافي : « إنا كفيناك المستهزئين » . وعقب النحاس عليه بقوله : (وهذا غلط لأن « الذين » نعت للمستهزئين) (٢) .

(٣) حالة الموصول والصلة :

سورة البقرة آية : ٢٧ : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » .

قال النحاس : (هذا ليس بقطع كاف لأن مابعده معطوف على مافي الصلة فهو داخل في الصلة ، وما بعده هو قوله تعالى : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ») (٣) .

(٤) الحال ومتعلقاته :

ا ـ سورة إبراهيم الآيتان : ٤٩ ـ ٥٠ « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار » .

قال النحاس : (« مقرنين في الأصفاد » ، ليس بتام لأن « سرابيلهم من قطران » في موضع الحال . و « تغشى » معطوف عليه . والتام : « إن الله سريع الحساب ») (٤) .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب
(٢) نفسه ، لوحة ١٢٤ : ا
(٣) نفسه ،لوحة ١١ : ب
(٤) نفسه ،لوحة ١٢٣ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ب سورة الحجر الآية : ٤٧ : « ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » .

قال النحاس : (« من غل » تمام عند « نافع » وتابعه على ذلك العباس ابن الفضل ، وخولفا في ذلك لأن « إخواناً » منصوب على الحال مما قبله) (١)

(٥) المستثنى والمستثنى منه :

ا ـ سورة المؤمنين .

قال النحاس : (يجوز الوقف على كل آية ـ أي في سورة المؤمنين ـ إلا على « والذين هم لفروجهم حافظون » (الآية : ٥) لأن بعده استثناء هو قوله تعالى : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين » (الآية ٦) (٢) .

ب ـ سورة النساء آية : ٦٦ : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه إلا قليل منهم .. » .

وهنا أورد النحاس رأى الإمام يعقوب الحضرمي في الوقف الكافي في هذه الآية . فهو يرى أن الوقف الكافي هو قوله جل وعز « مافعلوه » .

وعقب عليه النحاس بقوله : (هذا تخليط ، لايجوز الوقف على « مافعلوه » كما لايجوز الوقف على قوله جل وعز : « فلبث فيهم ألف سنة ») (٣) .

والسبب في هذا الامتناع أن بعد قوله تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة » استثناء هو قوله تعالى : « إلا خمسين عاماً » (سورة العنكبوت الآية : ١٤) . وكذا لايجوز الوقف على « مافعلوه » لأن بعده استثناء هو قوله جل وعز « إلا قليل منهم » . وهذا ـ لعمري ـ قياس بديع .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : ا

(٢) نفسه لوحة ١٥٢ : ا ـ ب

(٣) نفسه لوحة ٦٢ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦) المعطوف والمعطوف عليه :

أ – سورة البقرة آية : ٤٢ : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

قال النحاس : (« وأنتم تعلمون » وقف كاف ، وليس بتام لأن مابعده معطوف عليه ، وكذا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والقطع والتمام « واركعوا مع الراكعين » (١) .

ب – سورة الذاريات الآيات : ١ – ٦

« والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا . إنما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع »

قال النحاس : (والذاريات » : خفض بواو القسم . وما بعده معطوف عليه ، فجواب القسم : « إنما توعدون لصادق » . ثم عطف على الجواب : « وإن الدين لواقع » فهاهنا التمام) (٢) .

حالات الاتصال السياقي

ووضح النحاس أيضاً مجموعة من حالات الاتصال السياقي والجملي التي يقف عندها القارىء لكمال اتصالها ، ويتجنب الوقف على ماقبلها سواء أكان كمال الاتصال بالتوكيد أو بالبدل أو بالعطف ، أو بسياق آخر يتم به المعنى كلياً ..

فعندما أورد قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله » (٣) .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : أ (٢) نفسه لوحة ٤٤ : ب

(٣) البقرة : ٢٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أورد بعدها قول يعقوب : (ومن الوقف التام) « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال : « والمؤمنون » (رفع بالابتداء لابفعلهم) ثم قول الأخفش سعيد : (وأما « آمن الرسول » فالتمام فيه « والمؤمنون ») . ثم عقب على الرأيين بقوله : (هذا القول الأخير ـ أولى من الأول لأن واو العطف توجب أن يكون الثاني داخلًا فيما دخل فيه الأول ، إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضاً فإن بعده : « كُلٌّ آمن بالله » ولم يقل كلهم فيكون توكيداً) (١).

فالوقف التام عنده « والمؤمنون » و « كل آمن بالله » وهو مبتدأ وخبر .

وفي الحديث عن الأئمة (٢) في سورة الفاتحة ، جمع كثيراً من هذه الحالات . فقال : (القطع على اسم الله جائز إلا أن الائتناف بما بعده لاينبغي لأنه نعت . وكذا الوقف على « الرحمن » ، والتمام « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولا يقف على « الحمد » لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على اسم الله جائز إلا أنه لاينبغي أن يفعل ذلك لأن قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » نعت ، وهذا التمام . ولا يقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد ، ولا على « نعبد » لأن مابعده معطوف عليه ، والتمام « نستعين » . ولا يقف على « اهدنا » لأن « الصراط » منصوب به . ولا على « الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن بعده بدل . ولا على « الذين » لأن مابعده من صلته ، ولا على « عليهم » لأن « غير » بدل من « الذين » أو نعت .. والتمام « ولا الضالين » (٣) .

وكل هذه الحالات ـ وأمثالها ـ توضح كل الإيضاح أن اهتمام النحاس في كتاب « القطع والائتناف » منصب على السياق الجملي المرتبط بالنظم النحوي ارتباطاً كلياً ، بعيداً عن القضايا الشكلية والاحتمالات الكثيرة التي

(١) القطع والائتناف لوحة ٤٤ : ب (٢) الأئمة : جمع تمام أي وقف التمام
(٣) نفسه لوحة ١١ : ب ـ ١٢ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجدها في « نظرية الاحتمالات النحوية » عنده حيث تتساوى هذه الاحتمالات في الصحة . أما في هذا الكتاب فهناك حالة واحدة يصح معها « وقف التمام » وليس هناك غيرها ولا مايعادلها . ولهذا ظهرت عنده قضايا جديدة مرتبطة بهذا المنهج الجديد ، فهو يرفض القراءة التي لاتتفق مع قراءة الجمهور حيث تناسب الأخيرة وقف التمام ، حتى لو كانت تلك القراءة المرفوضة لأحد الأئمة المشهورين كالكسائي (١) وهو يرفض الوجه الضعيف في العربية أو الذي لايتفق عليه أكثر العلماء ،صرحاً أن كتاب الله « إنما يحمل على الأشهر » (٢) لا على الأضعف من لغة العرب . وهذه اللهجة لم نألفها حتى في كتابه « إعراب القرآن » ولا في « شرح القصائد التسع » ففيهما تكثر الاحتمالات وتتعدد الأوجه ويكثر الاهتمام بالاختلافات النحوية الجزئية .

فهو في كتابه « القطع والائتناف » قد أعطى صورة واضحة « لنظرية مبكرة في النظم » أساسها « علم النحو » ، وغايتها المفاضلة بين الأساليب والمعاني النحوية لتصل في النهاية إلى حالة واحدة هي أفضل الحالات التي يصح معها النظم الكلي الذي تأتلف أجزاؤه وترتبط معانيه ارتباطاً تاماً فترفض معه الاحتمالات لأنها لاتحقق هذا الارتباط الكلّي الذي سماه « القطع التام » .. وكل الحالات الأخرى لاتحقق مثل هذا « القطع » وإنما تحقق لوناً آخر أو حالة أخرى هي حالة القطع الكافي أو الصالح أو الحسن . وهذا معناه أنه كلما اختلف بناء الجملة اختلفت حالة الوقف ، ومنها حالة « امتناع الوقف » . كل ذلك وفق القوانين النحوية التي تتضمنها لغة القرآن .

وقبل أن انتقل إلى القسم الثالث والأخير لابد أن أشير إلى أن النحاس مسبوق ببيان بعض جزئيات النظرية ومسبوق بقسم من التعليلات ، وفضله

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب (٢) نفسه ،لوحة ٢٢٨ : ا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينحصر في إضافاته الرائدة وفي هذا التكوين الكلي لنظرية النظم بكل أبعادها من حيث المنهج العام ، والاسلوب ، والجزئيات المرتبطة بمنهجه ، وهذا هو أهم شيء ولهذا ناقش كثيراً من الجزئيات والتعليلات التي نقلها وردّ كثيراً منها لأنها لاتخضع لمنهجه ولا تتصل بهيكله العام اتصالاً كلياً .

القسم الثالث : هل أثرت نظرية النحاس في نظرية الجرجاني ؟

والسؤال الذي يرد هنا : هل أثرت « نظرية النظم النحوي » عند النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) في (نظرية النظم) عند عبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١ هـ) وهو مسبوق بالنحاس من حيث الزمن .

إن الموازنة بين النظريتين من حيث الوسائل والغايات والتفاصيل هي التي تقرر الجواب .

(١) من حيث الوسائل :

فقد جعل عبد القاهر قوانين النحو وأصوله هي أساس المفاضلة بين المعاني وأساس الخطأ والصواب ، ومحصول ذلك « أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو توكيداً له أو بدلاً منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً »(١) .

وهذه الوسيلة .. هي وسيلة النحاس للوصول إلى أساس المفاضلة بين المعاني . بل من أول الوسائل ، والحالات التي بسطناها والنصوص التي نقلناها من كتاب النحاس كافية للتدليل على هذا .

---

(١) دلائل الاعجاز : ٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢) من حيث الغاية :

أما من حيث الغاية فان « عبد القاهر الجرجاني جعل الغاية من نظريته « المفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو »[١] .

وتلك غاية النحاس من نظرية النظم النحوي ، غير أن الأول استعملها في الدلالة على إعجاز القرآن واستعملها الثاني في ضبط قراءة القرآن حتى يُقرأ قراءة متفقة مع أفضل أساليب اللغة التي أنزل بها .

(٣) من حيث التفاصيل :

أما نقاط الالتقاء من حيث التفاصيل فهي :

أولاً : إن عبد القاهر جعل أساس نظريته أن تراعى قوانين النحو حيث تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولا .. أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه .

وهذه القوانين النحوية والحالات الاسلوبية هي أساس المعيارية عند النحاس .. وعليها مدار كتابه : « القطع والائتناف » ..

ثانياً : من الحالات التي جعلها عبد القاهر أساساً للمعيارية النحوية هي أن تجيء باسم بعد تمام كلامك فتجعله صفة أو حالاً أو بدلاً .. والاهتمام بالأئمة وحالة الوقف التام وصلة الاسم - في حالات كونه صفة أو حالا أو بدلاً - بهذا الوقف التام هو من أهم القضايا التي اهتم بها النحاس في كتابه .

ثالثاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبدالقاهر استعمل عبارة « الاستئناف »

---

(١) دلائل الإعجاز : ٣٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كتابه « دلائل الاعجاز » أكثر من مرة ، في موضوع واحد هو : « الفصل والوصل » وهي عبارة النحاس ، وجلّ السابقين له استعملوا عبارة « الوقف والابتداء » في هذا الموضوع أما هو فقد استعمل « القطع والائتناف » فلو لم يتأثر عبد القاهر بالنحاس لاستعمل عبارة البلاغيين « الفصل والوصل » وهي العبارة التي عقد من أجلها الباب .

رابعاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر وقف عند بعض الآيات في باب « الفصل والوصل » ، وهي من موضوعات « القطع والائتناف » وكان يستطيع أن يقف على مئات الآيات أمثالها ، وهي قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » (سورة البقرة آية : ٦) . بل كان وقوفه عند الجزء الذي وقف عنده النحاس تماماً . فقد وقف عند قوله تعالى : « لايؤمنون » مبيناً أنه توكيد لقوله تعالى : أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وأن معناها يتصل بالأول كما ترتبط الصفة بالموصوف والتأكيد بالمؤكد (١) .

وبناء على فهمنا لنظرية النظم عند الجرجاني نرى أنه يريد أن يقول : إن تمام الكلام هو « لايؤمنون » وإنه يتصل بما قبله « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » تمام الاتصال ولذلك فصل بينه وبين مابعده تمام الانفصال فلا يعطف عليه . وتلك حالة من حالات ترك العطف التي بسط فيها عبد القاهر القول في دلائل الإعجاز (٢) .

ومعنى هذا أن عبد القاهر جعل تمام الكلام « لايؤمنون » وهذا ماعبر عنه النحاس بكل وضوح حين قال : (والأولى أن يكون القطع « لايؤمنون » ويكون كافياً) (٣) .

---

(١) نفسه : ١٧٤ ، ١٧٥ . (٢) نفسه : ١٨٧

(٣) القطع والائتناف ، لوحة ١٤ ؛ أ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالوسيلة واحدة والغاية واحدة والملامح والقسمات التفصيلية متشابهة في موضوع واحد ..

أليست هذه الدلائل على تأثير نظرية النظم عند النحاس في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني دلائل كافية ؟

ولله الحمد في الأولى والآخرة . وهو حسبي ونعم الوكيل .

كلية الآداب
الجامعة المستنصرية ـ بغداد أحمد نصيف الجنابي

المراجع المساعدة

— إعراب القرآن . لأبي جعفر النحاس (مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول (رقم ٨٨) .

— بغية الوعاة : للسيوطي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ط . القاهرة ١٩٦٤ م

— تاريخ علماء الأندلس : تأليف ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ط . القاهرة ١٩٦٦ .

— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م .

— دلائل الإعجاز : تأليف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) مطبعة المنار ١٣٣١ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— رسالة « إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية » (مخطوطة ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ ، بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا) .

— شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، ط . بغداد ١٩٧٣ م .

— طبقات القراء (أو غاية النهاية في طبقات القراء) . لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، ط . مصر ١٣٥١ هـ .

— عبد القاهر الجرجاني . الدكتور أحمد أحمد بدوي (سلسلة أعلام العرب)

— عبد القاهر الجرجاني . للدكتور أحمد مطلوب .

— فهرسة ابن خير الاشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) . مطبعة قومش بسرقسطة ١٨٩٣ م .

— في الميزان الجديد . للدكتور محمد مندور .

— القطع والائتناف . لأبي جعفر النحاس . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ — ٥٨ قراءات .

— لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحقيق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين ، ط . القاهرة ١٩٧٢ م (الجزء الأول فقط) .

— اللغة العربية ، معناها ومبناها . للدكتور تمام حسان ط . القاهرة ١٩٧٣ م

— المكتفى في الوقف والابتدا ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٩١ قراءات .

— الناسخ والمنسوخ في القرآن . للنحاس ، ط . مصر ١٣٢٣ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net